وما سواها (257)

سلوك الإرتهان والواقع المُدان!!

د. صادق السامرائي- الطب النفساني، العراق / أمريكا

الإرتهان معناه أن تستعير عقل وإرادة غيرك وتتصرف وكأنك هو بالتمام والكمال , وإن إختلفت عنه في شكلك ولغتك وموقعك

في هذه المجتمعات يبرز المرتهنون بإرادة الآخرين , والذين يؤدون طقوس السمع والطاعة لأسيادهم , فيتصرفون كالأجراء , ليساهموا بتدمير مجتمعاتهم وإذلال أنفسهم وإهانتها

القرن الحادي والعشرون مولود من رحم سابقه , وقد إنطلقت أجياله رهينة لأفكار ومنطلقات تدميرية فتاكة , وتحولت الأرض العربية أيضا إلى سوح لها , وأصبحت مناهج الإرهاب هي المتحكمة بالسلوك البشري

الأرض العربية ساحة لهذه المناهج الملتهبة التي تبيد كل شيئ يتصل بالعرب , وبهذا غدت أوطان العرب ميادين صراعات ودمارات وإختراقات ومعارك فتاكة مهلكة , يتسابق فيها النفط والإرهاب

من المعروف أن العديد من الشعوب قد وقعت بقبضة فكرة ما , وبذلت الغالي والنفيس للتعبير عن إرادتها وهي في

الإرتهان معناه أن تستعير عقل وإرادة غيرك وتتصرف وكأنك هو بالتمام والكمال , وإن إختلفت عنه في شكلك ولغتك وموقعك.

وهو سلوك يعصف في المجتمعات التي تمكنت منها التبعية والخنوعية , وإحتقار الذات والشعور بالدونية الحمقاء.

ففي هذه المجتمعات يبرز المرتهنون بإرادة الآخرين , والذين يؤدون طقوس السمع والطاعة لأسيادهم , فيتصرفون كالأجراء , ليساهموا بتدمير مجتمعاتهم وإذلال أنفسهم وإهانتها.

وما أكثرهم في المجتمعات التي تئن من وجيع الإمتهان والقهر والإحباط والحرمان.

وهذه محاولة للإقتراب من سلوك الإرتهان البغيض.

أولا: الإرتهان البشري!!

البشرية وجود مرهون بفكرة , وفي كل عصر تتبدل أفكار الإرتهان , وبعضها يسود في جميع الأزمان , لكنه يتخذ منحيات ومنطلقات ومنحدرات ويمضي في إنحرافات وإلتواءات , فلا يمكن لفكرة أن تدوم على حالها وطبعها , مادامت الأرض تدور والبشر ناعور.

ففي جميع القرون هناك ما يسود ويتأسد من الأفكار , والقرن العشرون – على سبيل المثال – تاسدت فيه أفكار متنوعة وذات توجهات متعددة , تسببت بحروب بشعة وخسائر حضارية مروّعة , خصوصا في أوربا وآسيا وأفريقيا , وتحول النفط فيه إلى إرادة تفرض مناهجها على التفاعلات الدولية , فتحطمت بسببها دول وشعوب , ووقع ثقلها وضررها الكبير على الدول العربية , التي عاشت سوحا للحروب الباردة ما بين القوى الكبرى المتحكمة بمصير الدنيا.

والقرن الحادي والعشرون مولود من رحم سابقه , وقد إنطلقت أجياله رهينة لأفكار ومنطلقات تدميرية فتاكة , وتحولت الأرض العربية أيضا إلى سوح لها , وأصبحت مناهج الإرهاب هي المتحكمة بالسلوك البشري , وكأن المجتمعات بأسرها صارت رهينة لهذه الحالة التي يتم الإستثمار فيها وتطويرها , لأنها ذات ربحية عالية , ووسيلة رخيصة لتحقيق المصالح وإدامة زخم التوجه نحو الهدف بتعجيل متزايد وإرادة تدميرية متعاظمة.

فالأرض العربية ساحة لهذه المناهج الملتهبة التي تبيد كل شيئ يتصل بالعرب , وبهذا غدت أوطان

العرب ميادين صراعات ودمارات وإحتراقات ومعارك فتاكة مهلكة , يتسابق فيها النفظ والإرهاب.

وصار من الصعب القول بغير ذلك , لأن الأدمغة مرهونة بهما , وخصوصا آلية الإرهاب التي فرضت هيمنتها على الحياة , وجعلت مراكز القرار في الدول الكبرى مكبلة بأُطرها وأصفادها , التي لا تستطيع التحرر منها , ولهذا فأن قراراتها محكومة ومشوَّهة بها , وكأنها تقبض على أعناق الإقتدارات الأرضية , وتديرها وفقا لمشيئتها وبوصلة نداءاتها وغاياتها.

ومن المعروف أن العديد من الشعوب قد وقعت بقبضة فكرة ما , وبذلت الغالي والنفيس للتعبير عن إرادتها وهي في سَوْرة الإرتهان الفكروي , ولا تزال في المنطقة عدد من القوى والمجتمعات المرهونة بأفكار تجاوزتها العصور , لكنها أمسكت بها وإستعبدتها وسخّرتها لما فيها من النداءات المؤوّلة وفقا لمحتويات النفوس المسعورة , التي وجدتها تحقق ما يحتويها من الإنحرافات والتطلعات السوداوية الحمقاء.

وفي هذا المعترك الإرتهاني يبدو أن البشرية تمضي نحو منحدرات لا يمكنها التوقف على سفوحها , والتفكير بالصعود والسير على أرض منبسطة , ذلك أن قوة الجذب فائقة والإنحدار يكون سهلا وشديدا يأخذ معه أجيالا وأجيال.

فهل ستتحرر البشرية مما يرتهنها ويستعبدها ويدمرها , وتعرف جوهر الحياة وقيمتها؟!!

ثانيا: فقه الإرتهان

"نتعلم من الماضي ولا نرتهن به"

الأجيال العربية أمضت عصورها رهينة أحداث تأريخية لا يمكنها التحرر من أسرها، ولا زالت تجتر تفاصيلها وتستهلك طاقاتها في النظر المتكرر فيها دون جدوى أو منفعة حضارية , حتى تحول التأريخ إلى داء عضال وطاقة سلبية مدمرة للحاضر والمستقبل ، بل أنه ألغى هذين البعدين وأمعن في تضخيم الماضي وهيمنته على الوجود بأكمله.

وبسبب هذا الإرتهان فأن العرب يتحركون وكأنهم العربة , التي تدور عجلاتها في الوحل , ولا قدرة عندها على التقدم خطوة إلى الأمام.

وقد أسهمت في هذا الإرتهان المروّع ، حركات وطوائف ، لأن سلوك الإرتهان يحقق لها البقاء والتواصل وفرض السيطرة على الناس ، كما أنه يعود بمنافع إقتصادية لأصحاب النفوذ والقدرة على التحكم بسلوك الناس , وتحويلهم إلى جموع خانعة تابعة بلا رأي ، وإنما مشدودة عاطفيا وإنفعاليا إلى الموضوع , وتتلذذ بدور الرهينة والطاعة المطلقة وتنفيذ الأوامر وحسب ، لأنها أصبحت ركن مهم من أركان العبادة.

ومع أن الإسلام دين الحرية والكرامة والسعادة الإنسانية ، وضد إستعباد الإنسان وإمتلاكه ومصادرة رأيه وحريته وحقه في الحياة ، فأن مناهج الإرتهان أخذت تسوّغ للرهينة ضرورات الإستسلام والشلل وعدم التفكير بغير ما تملي عليها لكي يتم إسلامها.

وفي واقعنا العربي لعب منهج الإرتهان الدور الأساسي في التدهور الحضاري والتردي الثقافي والأخلاقي، ومنع الناس من التعبير عن طاقاتهم الفكرية والعلمية والثقافية فعمّت الأمية والجهل، وكأن الإسلام لا يحث على العلم والمعرفة والوعي المعاصر للزمن الذي يعيش فيه المسلم ، حتى صار الناس يتصورون الإسلام مقرون بالفقر والجوع والجهل وسفك الدماء , والصراعات الحامية ما بين المسلمين

سَوْرة الإرتهان الفكروي

لا تزال في المنطقة عدد من القوى والمجتمعات المرهونة بأفكار تجاوزتها العصور , لكنها أمسكت بها وإستعبدتها وسخّرتها لما فيها من النداءات المؤوّلة وفقا لمحتويات النفوس المسعورة

الأجيال العربية أمضت عصورها رهينة أحداث تأريخية لا يمكنها التحرر من أسرها، ولا زالت تجتر تفاصيلها وتستهلك طاقاتها في النظر المتكرر فيها دون جدوى أو منفعة حضارية

تحول التأريخ إلى داء عضال وطاقة سلبية مدمرة للحاضر والمستقبل ، بل أنه ألغى هذين البعدين وأمعن في تضخيم الماضي وهيمنته على الوجود بأكمله.

بسبب هذا الإرتهان فأن العرب يتحركون وكأنهم العربة , التي تدور عجلاتها في الوحل , ولا قدرة عندها على التقدم خطوة إلى الأمام

أن الإسلام دين الحرية والكرامة والسعادة الإنسانية ، وضد إستعباد الإنسان وإمتلاكه ومصادرة رأيه وحريته وحقه في الحياة

في واقعنا العربي لعب منهج الإرتهان الدور الأساسي في التدهور الحضاري والتردي الثقافي والأخلاقي، ومنع الناس من التعبير عن طاقاتهم الفكرية والعلمية والثقافية فعمّت الأمية والجهل، وكأن الإسلام لا يحث على العلم والمعرفة والوعي المعاصر للزمن الذي يعيش فيه المسلم

لا يمكن لأمة أن تقوم بدورها

أنفسهم.

ولا يمكن لأمة أن تقوم بدورها وتؤدي رسالتها إذا لم تتخلص من قيود الإرتهان التي أبتليت بها.

أمة تحررت من الإرتهان الجاهلي (حياة العرب قبل الإسلام) وسلطته , التي لخصها جعفر بن أبي طالب في كلمته أمام النجاشي ملك الحبشة ، وإنطلقت في رحاب العلم والفكر والثقافة والحضارة , وأسست وجودها السامي النبيل.

وبرغم نكساتها وإنكساراتها لكنها بين عصر وعصر تتحرر من الإرتهان وتؤكد دورها الحضاري.

ولا يمكن للثورات العربية المتوهجة أن تؤكد فعلها الثوري إن لم تحقق حالة التحرر من الإرتهان الذي يأسر الأمة , ويحجب رؤيتها ويغلق دروبها ويضع الحواجز في مساراتها.

إن معنى الثورة أن تتخلص الشعوب والأمم من قيود الإرتهان , وأن تتحرر عقولها ونفوسها من نمطية الضياع والتداعي والإنحباس في بقعة تأريخية لا تبارحها.

فالتأريخ نتعلم منه ولا نرتهن به ، والتأريخ يمنحنا الدروس والعبر , ولا يضعنا في زنزنة القنوط.

فهل سنتحرر من فقه الإرتهان، وهل ستتحرر الأمة من دور الرهينة ، أم أننا سنزداد إرتهانا وأسرا؟!

ثالثا: رهائن التأريخ والإستلاب!!

التأريخ لا ينفع عندما يرتهن الأجيال , ويمنعها من التفاعل مع واقعها المعاصر وتحدياتها القائمة , وبعض المجتمعات إستلطفت دور الرهينة للتأريخ , وبهذا تجردت من مسؤوليتها الحضارية والإنسانية , وأمعنت في الغياب الإضطراب.

والمجتمعات العربية أمضت قرونا ولا تزال رهينة للتأريخ , الذي بسبب سلطته تحوّل إلى مستودع لتراكمات الأهواء والتطلعات السلوكية المنفعلة , المؤطرة بالتكرار وآليات الإنفعال وتراجيديا قال وقال.

وفي نظرة متفحصة لما تم نشره في القرن العشرين والربع الأول من القرن الحادي والعشرين , يبدو الإرتهان جليا ومؤثرا ومدمرا للمنطلقات السلوكية على كافة المستويات التفاعلية ما بين الناس , فلا يخلو حديث من التكبل بالتأريخ , وإتخاذ ما فيه من روايات وأحداث وصياغات ومصطنعات كقدوة ودليل لإدامة نمطية الإرتهان والإمعان في البهتان.

فالمجتمع العربي لم يستطع التحرر من أسر التأريخ , وعاش في دوائره المفرغة التي أوجدت ما آل إليه الحال في الواقع المعاصر , الذي يزداد قسوة ومرارة وخسرانا.

ولا يمكن العمل الجاد لإخراج العقل العربي من آليات التوحل بالتأريخ , وإعادة ترتيب أنظمة الوعي والإدراك والمعرفة , لأن التجهيل والأمية في نماء , والإستثمار فيهما يزداد , من قبل المستفيدين من الورطة البشرية الضرورية لتوفير الغنائم والإمتيازات , ووفقا لهذا النهج يتم تهجير العقول ومحاصرة الثقافة وتجميد الوعي أو شلّه تماما , لكي يتمكن المفترسون من تحقيق أعلى درجات الإفتراس اللذيذ.

وقد يستغرب البعض من هذا الطرح , لكن الواقع العربي ومنذ منتصف القرن التاسع عشر وحتى اليوم , وربما قبل ذلك بقرون , يمضي على ذات السكة المعبّدة بمفردات راسخة متحجرة جلمودية الطباع , تجثم على العقل وتمنع البصيرة من التفاعل العقلاني السببي المنطقي العلمي معها , وإنما هو النفق الذي لا يجوز لضوء العلوم والمعارف أن يتسلل إليه.

وتؤدي رسالتها إذا لم تتخلص من قيود الإرتهان التي أبتليت بها

لا يمكن للثورات العربية المتوهجة أن تؤكد فعلها الثوري إن لم تحقق حالة التحرر من الإرتهان الذي يأسر الأمة , ويحجب رؤيتها ويغلق دروبها ويضع الحواجز في مساراتها

إن معنى الثورة أن تتخلص الشعوب والأمم من قيود الإرتهان , وأن تتحرر عقولها ونفوسها من نمطية الضياع والتداعي والإنحباس في بقعة تأريخية لا تبارحها

التأريخ نتعلم منه ولا نرتهن به ، والتأريخ يمنحنا الدروس والعبر , ولا يضعنا في زنزنة القنوط. فهل سنتحرر من فقه الإرتهان، وهل ستتحرر الأمة من دور الرهينة ، أم أننا سنزداد إرتهانا وأسرا؟!

التأريخ لا ينفع عندما يرتهن الأجيال , ويمنعها من التفاعل مع واقعها المعاصر وتحدياتها القائمة

المجتمعات العربية أمضت قرونا ولا تزال رهينة للتأريخ , الذي بسبب سلطته تحوّل إلى مستودع لتراكمات الأهواء والتطلعات السلوكية المنفعلة , المؤطرة بالتكرار وآليات الإنفعال وتراجيديا قال وقال

لا يخلو حديث من التكبل بالتأريخ , وإتخاذ ما فيه من روايات وأحداث وصياغات ومصطنعات كقدوة ودليل لإدامة نمطية الإرتهان والإمعان في البهتان

المجتمع العربي لم يستطع التحرر من أسر التأريخ , وعاش في

ومنذ منتصف القرن التاسع عشر وحتى اليوم ما أجاد العرب غير النسخ أو الإستنساخ للتجارب الأخرى , بآلات قديمة وبالية لا تقدر على نقل الصورة كما هي وإنما بتشويه مروّع , ولهذا ما إستطاعوا أن يحققوا نقلات حضارية ذات قيمة معاصرة على مدى أكثر من قرن ونصف.

وعندما بدأ القرن الحادي والعشرون , وجدتهم معلقين ما بين الماضي الغابر والإستساخ العاثر , مما حقق إضطرابا شديدا خصوصا في العقد الثاني منه , فحالما أرادوا إستساخ الديمقراطية تورطوا بالتأريخ الذي كشر أنيابه ونشب مخالبه , ورفع راياته التحزبية المذهبية والطائفية ليدمر البلاد والعباد , فأصبحت بلاد العرب أوطاني من أخطر أماكن أرض الله الواسعة إلا في ديار العرب حيث تضيق ولا تتسع.

فالتأريخ يأسرنا والإستساخ يمحقنا , والأمة تبحث عن "أنا"؟!!

ثالثا:الإرتهان بالكرسي

وفقا لمناهج الإرتهان في بعض المجتمعات يتم رسم خارطة الواقع السياسي , والنفسي والإجتماعي والثقافي حتى تصل الحالة إلى الواقع الجغرافي.

وللآخرين الحق فيما يرون ويتصورون ويفعلون , لأن مصلحتهم هي دينهم ومعيار سلوكهم على جميع المستويات وفي كافة الميادين.

لكن المشكلة تكمن في الكراسي التي أصبحت مطية وأداة لتحقيق المطلوب , والتي أمعنت في غفلتها وضيق أفق رؤيتها وأسرها في الكرسي أو المنصب الذي تم توريطها فيه.

فمعظم الكراسي متورطة في مناصبها ولا خيار عندها إلا الإذعان والإستسلام , والتنفيذ المطلق لما هو مطلوب وإلا سيحصل الأسوَء من السوء , وبواسطتها يتم أخذ الشعب بكامله كرهينة من أجل الإستحواذ على النفط.

فماذا تتوقع من الرهائن أن تقول؟

إنها تريد الحفاظ على سلامتها وحسن معاملتها وإمتيازاتها , وما تظهر به من التزييف والخداع امام وسائل الإعلام ، وما هي إلا أسيرة تحمل أطواق المذلة في أعناقها.

فالكرسي الرهينة لا ينطق بلسانه ولا يكتب بقلمه ولا يفكر بعقله ، وعليه التعبير عما يُكتب له ويوضع أمامه من الأفكار والأقوال والكلمات والتصورات ، وإن قرر أحدهم أن يتحدث بغير ما هو مرسوم فأنه يلقى النهاية المريرة.

ولا جدال في ذلك ، لأن الإنسان الحر الوطني هو الذي يتكلم بلسان المصلحة الوطنية ، ولا يتحدث بمفردات الأنانية والفردية والتحزبية والمذهبية والطائفية ، فهذه أجندات مطلوبة للإستثمار والتنمية السلبية وتحقيق أعلى درجات الدمار والخراب الشامل.

فهل وجدتم مسؤولا في الدول الحرة يتحدث بلغة طائفية وبالأساليب الإذلالية , التي تهدف إلى إلغاء الوطن وتحويله إلى دويلات طائفية وعرقية تتصارع إلى الأبد؟

إن العلة في الذين يتوهمون بأنهم ساسة وقادة ، وما هم إلا جهلة تحقق الحصول عليهم في مزادات الغباء والضياع والخسران ، وتم الإغداق عليهم بالإمتيازات والمسؤوليات والسلطات والأموال وغيرها من الأسباب ، التي تعزز أوهامهم بأنهم قادة وساسة وما هم إلا أدعياء وأدوات خداع وفتنة وتضليل.

دوائره المفرغة التي أوجدت ما آل إليه الحال في الواقع المعاصر , الذي يزداد قسوة ومرارة وخسرانا

منذ منتصف القرن التاسع عشر وحتى اليوم ما أجاد العرب غير النسخ أو الإستنساخ للتجارب الأخرى , بآلات قديمة وبالية لا تقدر على نقل الصورة كما هي وإنما بتشويه مروّع , ولهذا ما إستطاعوا أن يحققوا نقلات حضارية ذات قيمة معاصرة

حالما أرادوا إستساخ الديمقراطية تورطوا بالتأريخ الذي كشر أنيابه ونشب مخالبه , ورفع راياته التحزبية المذهبية والطائفية ليدمر البلاد والعباد

التأريخ يأسرنا والإستساخ يمحقنا , والأمة تبحث عن "أنا"؟!!

معظم الكراسي متورطة في مناصبها ولا خيار عندها إلا الإذعان والإستسلام , والتنفيذ المطلق لما هو مطلوب وإلا سيحصل الأسوَء من السوء , وبواسطتها يتم أخذ الشعب بكامله كرهينة من أجل الإستحواذ على النفط

الإنسان الحر الوطني هو الذي يتكلم بلسان المصلحة الوطنية ، ولا يتحدث بمفردات الأنانية والفردية والتحزبية والمذهبية والطائفية

هل وجدتم مسؤولا في الدول الحرة يتحدث بلغة طائفية وبالأساليب الإذلالية , التي تهدف إلى إلغاء الوطن وتحويله إلى دويلات طائفية وعرقية تتصارع إلى الأبد؟

في هذا الوحل الآسن تكمن أكبر مأساة وطنية وإنسانية في التأريخ , فلماذا تعاتبون

الرهائن على ما تصّرح به وهي لا تنطق سوى الصدى؟!

وفي هذا الوحل الآسن تكمن أكبر مأساة وطنية وإنسانية في التأريخ , فلماذا تعاتبون الرهائن على ما تصّرح به وهي لا تنطق سوى الصدى؟!

وهكذا فأن الأجيال والشعوب والأمم والمجتمعات يمكنها أن تمضي كالرهائن المعصوبة العقول , والمصادرة الإرادة ولا يمكنها أن تقرر مصيرها , وعلى الراهنين لها أن يفعلوا بها كما تستوجبه مصالحهم وأهواؤهم مهما توحشت وإنفلتت.

إرتباط كامل النص
http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa257-170220.pdf

*** *** ***

موسسة العلوم النفسية العربية

معـا... نذهـب ابعـد

اشتراكات العضوية بموسسة العلوم النفسية العربية للعام 2020

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=36&controller=category&id_lang=3

اشتراكـات عضـويـة مدفوعة لدعم المؤسسة

اشتراكات العضوية بالدفع الالكتروني

1 – عضويـة "الشريك الفخري الماسي المميّز"

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=275&controller=product&id_lang=3

2 – عضويـة "الشريك الفخري الماسي"

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=116&controller=product&id_lang=3

3 – عضويـة "الشريك الشرفي الذهبي "

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=117&controller=product&id_lang=3

– اشتراكات العضوية بالتحويل البنكي (بعد اختيار نوعية العضوية 1 – 2 – 3)

مرفق رابط مستند الهوية البنكية للمؤسسة

www.arabpsynet.com/APF-IBAN.pdf

– اشتراكات العضوية بالتحويل عن طريق الويسترن يونيون (بعد اختيار نوعية العضوية 1 – 2 – 3)

Dr. Jamel TURKY (Sfax - TUNISIA)
ARABPSYFOUND President